عبد الله أبو سنينة

الإجابة

قصة قصيرة

عبد الله أبو سنينة

الإجابة

أفكّ الزر الأعلى لقميصي قبل أن أمسح خط العرق الذي تشكل على رقبتي عند ياقته.

أناظر الساعة المعلقة على حائط المكتب ولم تدق التاسعة بعد. يا للهول! كل هذا الملل ولم يمر أكثر من ساعة على بدء دوامي. أُخرج هاتفي وأنظر إلى ساعته علّها تعطيني وقتًا آخر.

لا فائدة.

أنظر نحو الملفات فوق المكتب. لن أسميه مكتبي؛ فأنا لا أنتمي إلى هذا المكعب الحجري. أنتمي إلى الميدان حيث أطارد المجرمين، لكن ها أنا ذا، تحولت لطريدة بدوري... طريدة للضجر.

"لدي شيء قد تود رؤيته!" يقول لي زميل لا أذكر اسمه.

أهزّ رأسي موافقًا؛ علّ ما سيريني إياه يكون مثيرًا، أو على الأقل، أقل مللًا مما أنا فيه.

يشير لي الزميل باتباعه نحو مكتبه.

نجلس خلف جهاز حاسوب تعرض شاشته مقطع ڤيديو. يضغط زميلي زر التشغيل فنرى شابًا أشعث الشعر، غير مهذب الهندام، يتحدث مع الكاميرا، "كان بالإمكان أن يكون هذا من أفضل الاختراعات للبشرية، إلّا أنه قد يساء استخدامه فيصبح كارثيًا. لا أستطيع إصلاحه ولا يبد..."

يدير الشاب الذي في الڤيديو رأسه نحو يساره متفاجئًا بدخيل. نستطيع سماع تمتمة رجل يقول "مستحيل!" بيد أنه لا يظهر أمام

الكاميرا فورًا. يهاجم الشابُ الدخيلَ فيتلقى الشاب ضربة بسكين على رقبته تسقطه أرضًا. يظهر المعتدي أمام الكاميرا مرتديًا قناع نايلون على وجهه وقلنسوة على رأسه ويطفئ الكاميرا. لا نستطيع رؤية أي شيء أسفل رأس المعتدي.

ينتهي المقطع هنا، لكن لا يتوقف قلبي عن النبض بسرعة. أدرك فورًا أنها جريمة قتل يتم التحقيق فيها.

لو كنت لا أزال محققًا ميدانيًا لربما عملت على القضية.

يخبرني زميلي، "اتصل الشاب بالشرطة. لم يقل شيئًا، ولسوء حظه لم ينجُ."

"من الغريب أنه استطاع الاتصال بالشرطة من هاتفه بالرغم أن القاتل استخدمه عندما أوقف الكاميرا!"

"ربما ترك القاتل الهاتف واستخدمه الشاب بعدها. فعلى ما يبدو ظل حيًا لدقائق بعد الضربة."

أفكر لثوان بمنطقية فرضية زميلي. أسأله وكلي فضول، "ما الاختراع الذي يتحدث عنه؟"

"لا أعرف، لكن يبدو أن الشاب عانى من جنون العظمة."

أرغب بسؤال زميلي عمّا إذا تم إيجاد الڤيديو على الهاتف بسهولة أم أنه تم استرجاعه من الملفات المحذوفة. أود كذلك سؤاله إن كان هناك ڤيديوهات غير الذي شاهدناه، لكن ينتابني شعور أن محاورته عن الجريمة لن تتعدى مجرد محادثة تملؤها الفرضيات؛ فمن الواضح

أنه لا يعرف تفاصيل الجريمة. وأنا لا أريد إضاعة وقتي بهكذا حديث، بل من الأفضل أن أنبش وراء الحقيقة بنفسي.

في هذه اللحظة أفكر بأن أطلب أن يتم تعييني على القضية، بالرغم من أنه تم تقليل رتبتي وتعييني في وظيفة مكتبية.

"شكرًا لأنك أريتني الڤيديو؛ فهو الشيء المثير الوحيد الذي حصل لي في عملي منذ تم تعييني هنا،" أقول للزميل.

"أتبحث عن العدالة أم عن الإثارة؟"

"الآن أرغب بالبحث عن القاتل."

"غريب قولك 'بالبحث' وليس 'إيجاد'، كأنك تسعى إلى إثارة المطاردة بغض النظر عن النتيجة!"

أرمقه بنظرة جانبية قبل أن أقوم عن الكرسي وأضع يدي على كتفه وأقول له بنبرة ساخرة، "هل سأصبح فيلسوفًا مثلك لو ظللت هنا لوقت طويل؟ لا أريد أن أعرف؛ فأنا أسعى للعودة إلى الميدان."

أومأت لزميلي برأسي وغادرت مكتبه.

يشير المدير لي بالجلوس فأجلس على أريكة أكاد أغطس فيها. أشعر كأنني سكين حاد يخترق جسم شخص ممتلئ بالشحم. عندما أنتهي من الغطس يصبح المدير أعلى من مستوى نظري. أشعر أن وضع أرائك تمتص الضيف مقصود لجعله يشعر بالتقزم مقابل مدير القسم. على أي

حال، أبدأ حديثي معه مباشرة، "لا يمكنني البقاء هنا أكثر. دعني أعمل على قضية الشاب المقتول. لقد رأيت الڤيديو."

"لا يمكنني ذلك. لا يمكن ترقيتك مجددًا بهذه السرعة. بالإضافة إلى أنه يجب أن تكون شاكرًا لأنه لم يتم فصلك من العمل، وربما سجنك أيضًا."

"لقد تمت تبرئتي. لماذا أشعر بأنكم تعاملونني كأنني مذنب؟"

"لأن جميع من عمل معك يقول بأنك تستعمل قوة مفرطة أثناء التحقيق، ووفاة متهم يوم واحد فقط بعد تحقيقك معه، وضربك له، عرضك وعرضنا لنقد لاذع. رأيي أنك محظوظ بأن الأمور انتهت كما انتهت. غير أنني عينت سامي وآدم على القضية."

لا أستطيع منع نفسي من إطلاق ضحكة عند سماعي للإسمين اللذين قالهما المدير. أتساءل بصوت عال، "سامي وآدم؟"

"نعم. على الأقل فهما لا يفتعلان المشاكل. هما مجتمعان لم يتسببا بنصف المشاكل التي تسببت أنت بها".

"وهل هما مجتمعان استطاعا حل نصف ما حللته أنا من قضايا؟"

لا يتكلم المدير لعدة ثوان قبل أن يقترب ويتكئ على مكتبه الخشبي. يجيبني، "أنت تسبب وجع الرأس لنا. وأحيانًا درء المفاسد أولى من جلب المصالح."

"عملنا كله مع الفساد، ومن الطبيعي أن تتسخ أيدينا أحيانًا. يجب أن نكون أشداء بمواجهته."

"أوافقك الرأي، لكن تحت مظلة القانون، وأنت تخرج كثيرًا عن ظلها!"

"أريد أن أخرج عن ظل المكتب. سأموت من الملل هنا!"

يتأفف المدير من كلامي ويقوم عن كرسيه ويقول، "أنت هنا لتعمل. لو أردت الحصول على جرعة أدرينالين، جد لك رياضة خطرة. ولا تحاول السؤال عن معلومات حول الجريمة. سأخبرهم ألّا يخبروك أي شيء. أمّا الآن فعليّ المغادرة."

يتجه المدير نحو ماكنة صنع القهوة الموجودة في غرفة مكتبه ويقول، "لا يمكنني أن أعطيك جرعة أدرينالين، لكن يمكنني أعطاؤك جرعة كافيين."

يصب المدير كأسًا من القهوة، لكنه لا يرتشف منها. يتجه نحو باب مكتبه، وأنا لا أزال غاطسًا بالأريكة. ينظر المدير تجاهي ويعطيني كأس القهوة الحار. أضع الكأس على طاولة صغيرة أمامي.

يسألني المدير، "لو عاد الزمن بك، وكنت تعلم أنه لن يتم محاكمتك بجريمة قتل، هل كنت ستضرب ذلك المتهم الذي مات بعد تحقيقك معه؟ لا أريد أن تجيبني، لكن فكر جيدًا بالإجابة."

يطرق المدير إطار الباب ويغادر، بينما لا أزال غاطسًا في الأريكة، وفي عقلي باحثًا عن إجابة عن سؤاله.

أخرج من مكتب المدير وكاسة القهوة بيدي، وعقلي يبحث عن طريقة لإيجاد معلومات حول الجريمة. أنوي المرور على مكتب سامي أو آدم علّ أحدهما أو كلاهما متواجد. لحسن حظي أجد آدم خارجًا من مكتبه يحمل مجلدًا أفترض أنه يحتوي على ملفات تتعلق بالجريمة.

"سمعت أنك وسامي تعملان على جريمة مقتل الشاب،" أقول له.

"هو كذلك. كيف ترى العمل المكتبي؟"

"لا أطيقه!" ولا أطيق الشماتة في سؤاله كذلك. أرغب بسكب القهوة على وجهه لأشويه، لكنها غير حارة كفاية لتسيح الجلد عن العظم.

أنظر نحو المجلد وأفكر بالعمل بناء على الرهان بأنه متعلق بالجريمة. أتظاهر بأني أعطس بقوة فأسكب القليل من القهوة على قميصه. أستغل البلبلة وأُسقط المجلد من يده فتتبعثر الملفات على الأرض. تتجه يد نحو جيبي لأخرج له منديلًا ينظف به بقعة القهوة، والأخرى نحو الملفات لمساعدته في جمعها. وخلال هذا أتظاهر بالتأسف لما حصل. أمّا بصري فهو مثبت على الملفات، وفعلًا أرى ملفًا عليه صورة الضحية والمعلومات الرئيسة عنه، ومن ضمنها مكان سكنه.

ينتشل مني الملفات ويضمها نحو الملفات الأخرى ويجمعها مجددًا في المجلد. أنظر نحو آثار بقعة القهوة على قميصه وأعتذر له عمّا حصل.

"لا تقلق!" يقول لي.

"أتمنى لك ولسامي التوفيق بالقضية. إن أردتما أية مساعدة، أنا موجود."

"لا تقلق. لا نحتاج لقتل المتهم،" يقول بتهكم.

أبحث عن شيء أقوله له انتقامًا عمّا قال، لكنني لا أجد. يحمل المجلد مبتعدًا. أنظر نحو مؤخرة رأسه وأتخيل أنني أجذبه من الشعرات التي لم تصلها رقعة الصلع بعد وأضعه تحت قدمي وأقحم حذائي داخل فمه. متأكد أنه سيتوقف عن التهكم حينها.

يفرض عليّ هبوط درجة الحرارة بعد الغروب ارتداء ملابس ثقيلة. أرتدي سترة دافئة مع قلنسوة وأقصد بيت الضحية.

أبحث باب البيت عن سيارة سامي أو آدم، بيد أنني لا أرى أية سيارة هناك.

أقترب من باب البيت، وأستغرب عدم وجود شريط يشير لوجود مسرح جريمة في المكان. على أي حال، أستطيع سماع تمتمة قادمة من داخل البيت فتوقعت أن أحد الجيران استطاع الدخول، أو ربما جاء سامي وآدم هنا بسيارة أوصلتهما ثم غادرت.

لأنه غير مخول لي المجيء إلى مسرح الجريمة، ارتأيت أن أجلب معي قناع نايلون يغطي وجهي خوفًا من وجود كاميرا مراقبة نصبها أحد المحققين داخل المسرح. أرفع القلنسوة على رأسي، وأخرج كذلك سكينًا صغيرًا من جرابي كتدبير احترازي أن يكون من بالداخل هو المجرم عاد ليمحي أي أثر قد يشير بأصابع الاتهام نحوه.

لا أزال أسمع صوت تمتمة، وهناك ضوء في الداخل. أقترب أكثر من الباب، فأستطيع تمييز التمتمة بأنها صوت الشاب. ربما يشغل شخص ما ڤيديو للضحية.

يتوقف صوته للحظات ثم يعود.

أقرر الدخول لرؤية ما الذي يحصل. لو كان المجرم قد عاد لمسح آثار جريمته ستكون فرصتي بأن ألقي القبض عليه. ولو كان أحد المحققين بالجريمة فلن يكون قادرًا على تقديم شكوى بحقي؛ فمقدرتي على دخول مسرح الجريمة بهذه الطريقة سيكون مهينًا له، وبهذه الحالة سيفضل الصمت.

أدخل البيت ويصبح صوت الشاب أكثر وضوحًا. أضغط على مقبض السكين ثم أقف عند باب الغرفة التي يأتي الصوت منها. أستطيع سماع صوت الشاب يقول، "كان بالإمكان أن يكون هذا من أفضل الاختراعات للبشرية، إلّا أنه قد يساء استخدامه فيصبح كارثيًا. لا أستطيع إصلاحه ولا يبد..."

أطيل عنقي من عند إطار الباب لأرى الشاب يتحدث أمام هاتفه المحمول.

ليس تسجيلًا للشاب، بل الشاب بشحمه ولحمه.

"مستحيل!" أقول مستغربًا مما أرى!

لا أستطيع تفسير ما يجري، ولا يوجد لدي وقت لفعل ذلك؛ فالشاب انقض عليّ مهاجمًا، وبردة فعل ضربته على رقبته بالسكين.

فور سقوطه على الأرض، أتجه نحو الكاميرا وأضغط زر إيقاف التصوير.

أخلع القناع عن وجهي أحاول عبّ ما أستطيع من هواء.

ما الذي يحصل هنا؟ هل أنا مهووس بالقضية لدرجة أنني أحلم بها؟ هل أنا نائم؟

أضع يدي على صدري فأشعر به يدق كطبل، لكني أحاول التركيز. يتجه بصري نحو الشاب الميت أمامي. الموت تحت قدمي، لكني أشعر بالحياة. الأمر كأن الحياة انتقلت من جسد الشاب إلى روحي. نكون أقرب للموت أثناء الحلم، والحياة التي أشعر بها الآن تخبرني أنني لا أحلم.

أمسك هاتف الشاب علّي أجد ما يساعدني على فهم ما يجري. أنتقل بين الصور والڤيديوهات إلى أن أجد مقطعًا يفسر لي، إلى حد ما، ما يحصل. أجد ڤيديو للشاب وهو يمسك بيده ما يشبه مصباحًا يدويًا.

أبحث بنظري عن الجهاز حول جثة الشاب فأجده. أحمله بيدي، لكنني لا أشعله قبل أن أكمل مشاهدة الڤيديو. يقول الشاب، "ظننت أنني أستطيع إصلاح مشاكل الجهاز ليكون أول جهاز سفر عبر الزمن، إلّا أنني لا أستطيع جعله يعمل بشكل مثالي... كل ما يفعله الآن هو إعادة اليوم، أو جزء منه، ليسجن المستخدم داخل دائرة زمنية تبدأ مع النهار، أو الاستيقاظ، أو غروب الشمس، وربما بوقت آخر؛ فلا مكان محدد يمكننا اعتباره نقطة البداية على الدائرة. تشغيل الجهاز بوجه الكادحين يعني أنهم سيظلون سجناء لمأساتهم. سيعيد الزمن نفسه لهم. سيكون سجنًا من نوع آخر حيث لا يكلف السجان أي قرش. لا أستطيع أن أكون طرفًا بإيقاع هكذا مصير على أي شخص... لو وقع الجهاز بيدك بيوم من الأيام، هل لديك القدرة على حبس شخص داخل زمن ما؟"

أشعر كأنه يوجه السؤال لي وجهًا لوجه، وليس عبر تسجيل ڤيديو.

يطرح الشاب نقطة مثيرة بأن إعادة الزمن الكئيب لشخص ما يعني الحكم عليه بالكآبة لوقت أطول، لكنه لا يذكر أي شيء حول إعادة الزمن لشخص عاش يومًا مذهلًا. سيعني ذلك عيش اللحظة بلذتها مرة بعد مرة بعد مرة، كأنها أول مرة. أسأل نفسي: هل أرغب بعيش لحظة جميلة بحذافيرها مرة أخرى؟

أتذكر كذلك سؤال مديري الذي سألني إياه، أو لأكون دقيقًا، سيسألني إياه: هل كنت سأضرب المتهم الذي مات ساعات بعد تحقيقي معه؟

تتعدد الأسئلة، ويختلف سائل كل سؤال منهم، لكن الإجابة واحدة: في كل مرة.

الفرصة سانحة أمامي لأطبّق الإجابة، ولم أكن لأضيعها. أحمل الجهاز وأشعله بوجهي قبل أن أتصل بالشرطة من هاتف الطريدة.

النهاية؟

أعمال إلكترونية للكاتب متوفرة مجانًا...

يحاول مدرّس صنع مستقبل أفضل لأطفال المخيمات رغم أشباح الماضي التي تطاردهم.

تنقلب حياة جيوڤاني رأسًا على عقب بعد تورطه مع إحدى عائلات الجريمة المنظمة في مدينته.